الصابئة

حقيقتهم وأصول معتقداتهم

إعداد:

د/ إيهاب محمد عيسى محمد

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تـلـيـفـون / فــاكــس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، أحق من شُكر، وأولى من حُمد، وأكرم من تفضل، وأرحم من قُصد، المعروف بالدليل وبالدليل عُبد، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، ونشهد أن لا إله إلا الله الولي الحميد ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد: ١٤] ، وأصلي وأسلم على محمد المرسل بدين الرحمة والهداية فكان خاتمًا للأديان ونهاية .. *وبعـــد* :

فإنه من الحقائق التي تكاد تكون مسلمة أن الدين من عند الله تعالى، وأن التدين فطرة جُبل الإنسان عليها مهما تعددت المظاهر واختلفت العلل والأسباب، فأصالة الدين والتدين في تاريخ الأمم حقيقة مؤكدة، وسيبقى الدين ما بقيت الإنسانية، وأن الشعور الديني إحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين، كما يجده أعلى الناس تفكيرًا وأعظمهم حدسًا .

ومن ثم آثرت البحث في المعتقدات القديمة، وقد وقع اختياري من بينها على عقيدة الصابئة، وذلك لاعتبارات، لعل من أهمها:

حديث القرآن عن الصابئة باعتبارها دينًا قائمًا بذاته إلى جانب الأديان الكتابية الأخرى .



Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

فالصابئة من الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث والاهتمام، لكن الواقع لم يكن على هذا النحو المرجو، فمن المؤسف أن مسألة الصابئة لم تحظ باهتمام دوائر البحث العربية والإسلامية، رغم أهميتها في فهم التطور الفكري في المنطقة العربية قبل وبعد ظهور الإسلام، وما صدر عنها من دراسات عربية لا يعدو كونه معالجات عامة لا تقدم إجابات شافية لكثير من الأسئلة المحيرة التي تثيرها هذه المسألة المعقدة، أعني : البحث في حقيقتهم وأصول معتقداتهم؛ لذا قررت أن ألج ميدان المسألة العريض، مع علمي بأني مقدم على عمل ينطوي على كثير من الصعوبات والمشاق، في محاولة مني لاستجلاء حقيقة الأمر وفك بعض رموزه وتعقيداته .

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن استخدم المنهج «الاستردادي» حيث قمت بتأصيل وبيان الأصول التاريخية القديمة لديانة الصابئة بتتبع جذورها الشرقية والغربية، ثم قصدت إلى منهج المقارنة والموازنة لما بين يدي من حقائق، ومعطيات تاريخية بعد عرضها عرضًا موضوعيًا لإحقاق الحق في تلك المسألة .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى : مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس فنية على النحو التالي :

المقدمة : اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه .

المبحث الأول : الصابئة تسميتهم وحقيقة معتقدهم، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حقيقة تسميتهم .

المطلب الثاني : حقيقة معتقدهم .

المبحث الثاني : أصول الصابئة وأصول معتقداتهم، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نظرية الأصل الشرقي .

المطلب الثاني : نظرية الأصل الغربي .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث .

الفهارس الفنية : ويشمل ثبت بأسماء المصادر والمراجع، وفهرس محتويات البحث .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

(المبحث الأول)

« الصابئة تسميتهم وحقيقة معتقدهم »

تمهيد :

حول ضفتي الرافدين وفي المناطق السفلى من النهرين فيما يسمى بالبطائح منهما، وفي بطائح عربستان من بلاد إيران حول نهر كارون في تلك الأصقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا طائفة يطلق عليها اسم الصابئين أو الصّبة فلم تكن مدن أو قصبات جنوب العراق لتخلو من هؤلاء الصابئة، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ والقرنة حيث يلتقي نهر دجلة بنهر الفرات قبل أن يفرغا مياههما في الخليج العربي، وكان أمثال لهم يقطنون المنطقة المجاورة في إيران تحديدًا على ضفاف نهر كارون ويسكنون في مدن إيران الساحلية، مثل : المحمرة وناصرية الأهواز وشنشتر [١] .

كان بعض هؤلاء الصابئين يحترف الحرف التي يحتاجها الفلاحون والصيادون من حدادة ونجارة وصياغة حلي، ثم اتجه الآخرون صوب المدن الكبيرة للعمل كصاغة تاركين عوائلهم وراءهم ليعودوا إليهم في مناسباتهم الدينية حيث يمضون معهم أيامًا معدودات يقفلون بعدها راجعين إلى مقار عملهم .

([١]) راجع: الصابئة المندائيون – الكتاب الأول –، الليدي دراوور، ص: ٨ ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رومي، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، مطبعة الديواني – بغداد .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

تلك كانت حياة الصابئة قبل عقود من السنين، وهي حياة كررت نفسها – كما يبدو – لمئات السنين، لكن منذ أن تزايد النشاط الاقتصادي والاجتماعي الحديث في العراق والبصرة بأعداد صغيرة أولًا ثم بمجموعات أكبر خلت القصبات والقرى منهم واستقرت غالبيتهم في هاتين المدينتين[١].

(١) راجع: أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص :٨ الطبعة الأولى ١٩٩٦م، نشر: دار المدى للثقافة والنشر – سوريا – دمشق، بيروت – لبنان.

(المطلب الأول)

« حقيقة تسميتهم »

كان الصابئون يقطنون تلك الأصقاع حين فتحت الجيوش الإسلامية بلاد الساسانيين [١] وكانت أعدادهم كبيرة تكفي لأن يذكرهم القرآن الكريم باعتبارهم دينًا كتابيًا ويمنحهم الحماية ويسميهم الصابئين، هذه التسمية التي لا زالوا يعرفون بها إلى اليوم، والتي تضمن لهم وجودهم وعيشهم بين المسلمين كدين كتابي متسامح معه .

فما هو الأصل اللغوي الذي اشتقت منه هذه الكلمة؟

وفي الإجابة أقول : كلمة الصابئون هي جمع لكلمة صابئ، وقيل : صابٍ؛ ولذا اختلفوا في همزه فهمزه الجمهور إلا نافعًا، فمن همزه جعله مأخوذًا من الطلوع والظهور، فيقال : صبأت النجوم إذا طلعت، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت، وقولهم : صبأ ناب البعير إذا طلع وهو قول الخليل.

وقيل : مأخوذ من الصابئ وهو الخارج من شيء إلى شيء، فسمي الصابئون بهذا الاسم لخروجهم من اليهودية والنصرانية، وهو قول ابن زيد، وقال ابن جرير : الصابئ هو المستحدث سوى دينه دينًا كالمرتد من أهل

---

(١) الساسانيون: أخر أسرة وطنية حكمت فارس، حفل تاريخهم منذ البداية بالحروب مع دولة الروم، أخر ملوكهم يزدجر الثالث وفي عهده فتح العرب فارس وهزموا الساسانيين في معركة القادسية ٦٣٦هـ . راجع: الموسوعة العربية الميسرة، أ . د. حسين محمد نصار، وآخرون، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الإسلام، وكل خارج من دين كان عليه، إلى آخر غيره تسميه العرب صابئًا، فقد كانت العرب تسمي النبي ﷺ صابئًا؛ لأنه أظهر دينًا يخالف أديانهم .

أما من لم يجعله مهموزًا فقد جعله مأخوذًا من صبا يصبو إذا مال إلى الشيء وأحبه، فالصابي في اللغة هو منْ مال من دين إلى دين؛ لذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ، فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب، ويفهم منها الشهرستاني – الزيغ والزندقة، فيما يرى ابن خلدون أنها مشتقة من صابي بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام [1] .

ويرى – غضبان رومي – وهو أحد أبناء الطائفة : أن الرأي الأكثر صحة وقبولاً بين الباحثين عربًا ومستشرقين أن كلمة الصابئة مشتقة من صبأ الآرامية، وهي تعني « التعميد» بالماء، أو الصباغة، ومنها قولهم صابئين أي : المتعمدين [2] .

ومن ثم يمكن القول : «إن المندائيين في جنوب العراق الذين حصلوا على اسم المتعمدين من تطهرهم المستمر المتزمت كانوا يسمون بالآرامية –

---

(1) راجع: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج٢ ، ص: ٥ فصل الصاد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، وقارن: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص:٣٥٤، رتبه: محمود خاطر، تحقيق: لجنة من علماء العربية، طبع ونشر: دار المعارف – القاهرة، وتاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ج:١ ، ص: ٣٠٦، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

(2) راجع: الصابئة، غضبان رومي، ص: ٤٩،٥٠، طبعة ١٩٨٣م، مطبعة الأمة ، بغداد.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الصابئين من أصل الفعل صبأ الآرامي بمعنى : غطس وتعمد[1].

ويقول عنهم العقاد : إنهم السابحة من السبح والاستحمام في مياه الأنهار، كما فطن إلى ذلك بعض المؤرخين المسلمين فأسماهم ابن النديم المغتسلة أو صابئة البطائح فقال : « وكان بنواحي دست ميسان قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم إلى وقتنا هذا»[2].

وإذا علمنا أن الشعار الرئيسي لديهم هو الارتماس والانغماس في الماء الجاري، وأن طهارتهم اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء، وأن هذه الممارسة تسمى «مصبتة» أي : التعميد – ترجح لدينا أن التسمية مأخوذة من الفعل – صبأ – باللغة الآرامية، ومعناه ارتمس أو غطس وتعمد، فهم يقولون في صيغة الآذان عندهم انش صابي بمصبتة شلمي أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم [3] .

ويجدر بنا الإشارة إلى أن : اسم – الصابئين – كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينيًا، فهم يعرفون أنفسهم باسم «منداييي» فلا بد أن تكون تسميتهم بالصابئين قد أتت من الأقوام المجاورين لهم، ومن ثم اختلفت تسميتهم باختلاف المجاورين لهم .

فالعرب المسلمون أطلقوا عليهم اسم «المغتسلة» لكثرة مشاهدتهم

---

(1) راجع: إبراهيم أبو الأنبياء، العقاد، ص: ٨٨، دار الهلال ، القاهرة .

(2) الفهرست،ابن النديم، ص: ٤٠٤، تحقيق: رضا تجدد، طهران ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

(3) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ٨.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وهم يتطهرون بالماء أو يرتمسون فيه كلما تعرضوا إلى نجاسة، والمسيحيون دعوهم – بالمعمدانيين – لأنهم كانوا يمارسون طقوس التعميد، ويرى بعض الباحثين أن لهذه الطائفة أسماء عديدة في جنوب ما بين النهرين، لكنها في ميسان كانت تدعى بالمندائيين، أو المشكينائيين وهي تعني – بيت العبادة – مرادفة لكمة – مندى – فأطلق هذان الاسمان على تلك الطائفة التي كانت تتردد على بيوت العبادة هذه(١).

هذا، من ناحية الاشتقاق اللغوي لكلمة الصابئة أما من ناحية ديانة هؤلاء الصابئين وحقيقة معتقدهم فهذا ما سأعرض له في المطلب التالي – إن شاء الله تعالى – .

(١) راجع: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص: ١٩٦.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(المطلب الثاني)
«حقيقة معتقد الصابئة »

اهتم المفسرون والباحثون المسلمون بالصابئين منذ أن ورد ذكرهم في القرآن الكريم باعتبار دينهم دينًا قائمًا بذاته مثل الأديان الكتابية الأخرى المعروفة .

وقد ورد ذكر – الصابئة – في ثلاثة مواضع من ثلاث سور مدنية سورة البقرة والمائدة والحج، ويلاحظ أن ورود اسم الصابئة في هذه السور مقدم على النصارى مرة، ومؤخر أخرى، ومنخرط في سلك الديانات السابقة من يهودية ونصرانية لمما يدل على أن هذه الفرقة كانت معروفة وقت نزول القرآن خاصة في العهد المدني، إلا أنه لم يكن لها من الشهرة والانتشار مثلما كان لليهودية والنصرانية، خاصة أن الصابئة قد انكمشت على نفسها، وتقوقعت داخل موطنها لا تبرحه، ساعدها على ذلك جمود علمائها، وانعزالهم تجنبًا للصدام الجدلي مع بقية الأديان، حتى ظن الباحثون أنها قد اندثرت، ولولا حديث القرآن الكريم عنهم، واكتشاف مخطوطات نجع حمادي بمصر، وخربة قمران بالأردن لما عرفهم أحد[1] .

هذا، وقد اختلف المفسرون والباحثون في عقيدة هؤلاء الصابئين ودينهم اختلافًا كبيرًا، يقول الرازي : « وللمفسرين في تفسير مذهبهم أقوال،

---

(1) راجع: الصابئة، د. علي محمد عبد الوهاب، ص: ٢٤، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، دار ركابي للنشر .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

فقد قال مجاهد والحسن: هم طائفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، وقال قتادة : هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى الشمس كل يوم خمس صلوات، ويقرءون الزبور، وقال الخليل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح(عليه السلام) [1] .

وقد رجح ابن كثير ما ذهب إليه مجاهد ومتبعوه، وهو أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه أو يعتنقونه، ثم قال : ولهذا كان المشركون ينبذون من أسلم بالصابى أنه قد خرج عن سائر الأديان [2].

والملاحظ في هذه الآراء أنها انغمست كثيرًا في التعميم ومن ثم ابتعدت عن التحديد البيِّن لمعتقد الصابئة، ومن ثم كان لزامًا علينا أن نلتمس تحديدًا لمعتقدهم على وجه قاطع لدى فريق آخر من المفسرين، فنقول :

---

(1) مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، ج:٣، ص :١٠٥، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، قارن: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج:١، ص: ٢٨٥، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، وأيضًا: تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله القرطبي، ج:١، ص: ٣٧٠، دار الشعب، القاهرة .

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، مجلد :١، ص: ١٤٩، تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ذهب فريق من المفسرين إلى أن الصابئين يعبدون الكواكب والأصنام مقررين ذلك على الوجه الآتي :

- إن مدار مذهب الصابئة يقوم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط، ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها، والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها، فصابئة الروم مفزعها إلى السيارات، وصابئة الهند مفزعها إلى الثوابت، وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئًا، فالصنف الأول عبدة كواكب، والثاني عبدة أوثان[١] .

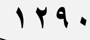
وممن حكى هذا الرأي الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، ت ٧٢٧هـ، قيل : إن الصابئة قسمان، أحدهما : القائلون بالهياكل وهم عبدة الكواكب، والآخرون القائلون بالأشخاص وهم عبدة الأصنام[٢].

أما الفريق الثاني فقد ذهب إلى أن الصابئة يعبدون الملائكة مقررًا ذلك على الوجه التالي : فقال قوم : هم أصحاب الروحانيات، فيعتقدون أن للعالم صانعًا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربون لديه، وهم

---

(١) راجع: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي البغدادي، ج:١، ص: ٢٧٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

(٢) راجع: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الدمشقي، ص: ٤٤، نقلاً عن: الصابئين في ماضيهم وحاضرهم، السيد عبد الرازق الحسني، ص: ١٩، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م، مطبعة العرفان، صيدا ، لبنان .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الروحانيون المطهرون جوهرًا وفعلاً وحالة، أما الجوهر : فهم المقدسون عن المواد الجسمانية، والذين جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهذا يصدق على الملائكة فالأرجح أنهم يعبدون الملائكة قالوا : فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم[1] .

ويستفاد مما تم إيراده حتى الآن من أقوال الباحثين في عقيدة الصابئين سواء في ذلك من فصَّل القول وحدَّد معتقدهم وديانتهم، أم من أطلق القول وأجمل ولم يفصِّل أن الصابئين ليسوا موحدين ولا مسلمين، بل هم فرقاء متشاكسون وأصناف شتى، فهم ما بين عابد للكوكب أو الملك، أو عابد للوثن والصنم .

لكن في مقابل هذا الاتجاه وجد اتجاه آخر يتبنى القول بأن هؤلاء الصابئين قوم موحدون، فقد ورد في ظلال القرآن عند تفسير قول الله تعالى: لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا

([1]) راجع: تفسير القاسمي ، المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مجلد:١، ص: ٣٠١، تحقيق: أ . محمد فؤاد عبد الباقي، صححه: الشيخ هشام سمير البخاري، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، قارن: الملل والنحل، للشهرستاني، ج: ٣، ص: ٨٩: ٩٠، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا قُلِ [١]، جاء ما نصه : «والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأوثان، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون إنهم صبأوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك، ومن ثم سموا بالصابئة»[٢] .

تحقيق هذا الخلاف :

بداية أقول : الواضح من أقوال وآراء علماء المسلمين فيما يخص عقيدة الصابئة تناقضهم واختلافهم حول هذا الأمر، لكن الحق أن اختلاف آرائهم لا يعكس التناقض والتضارب فيما بينهم بقدر ما يعكس حقيقة ثابتة، فمن قال إن الصابئة وثنيون وليسوا موحدين إنما كان يتحدث عن وثنيي حران الذين تسموا بهذا الاسم فقيل لهم : الصابئة الحرانيون، وهؤلاء وثنيون وعبدة كواكب وأصنام فعلاً، أما من قال: إن الصابئين ليسوا وثنيين بل موحدين فقد قصد بهم الأحناف الذين كانوا قبل البعثة النبوية .

ومن ثم يمكن القول: إن الذي قصده القرآن من كلمة صابئين إنما

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٢ .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، مجلد :١، ص: ٧٥، الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار الشروق، بيروت – لبنان .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

هو تلك الطائفة المغتسلة التي تطلق على نفسها اسم «المندائيين»(١) التي كانت تعيش في جنوب العراق منذ آلاف السنين، والتي لا تزال تعيش إلى يومنا هذا(٢) .

فالصابئة إذن صنفان :

١ - صابئة حنفاء موحدون .

٢ - وصابئة مشركون، وهؤلاء في الأصل كانوا جماعة وثنية سكنت حران انتحلوا اسم الصابئة تخلصًا من القتل الذي توعدهم به الخليفة المأمون(٣) إنْ هم لم يكشفوا حقيقة معتقدهم أهم من أهل الكتاب أم لا؟(٤)

فالصابئة الأولون هم قوم حنفاء موحدون عاشوا قبل الإسلام، وكانوا على ملة إبراهيم (عليه السلام) وآي القرآن الكريم تشهد بذلك حيث ذكرهم الله تعالى ضمن من أثنى عليهم بقوله عز وجل : ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا

---

(١) تعني كلمة – مندايي – باللغة الآرامية العارف من الفعل مدّعا أي عرف أو علم . راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ٨ .

(٢) راجع: المرجع نفسه، ص: ١٢ .

(٣) المأمون: سابع الخلفاء العباسيين، ومن أعظمهم ابن الخليفة هارون الرشيد، خلف أخاه الأمين ١٧٠ – ٢١٨هـ . راجع: الموسوعة العربية الميسرة، مجلد :٦، ص: ٢٩٩٣.

(٤) راجع: الفهرست، ابن النديم، ص: ٣٨٥ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2] .

فأثنى سبحانه وتعالى على من آمن من أهل هذه الملل الأربع ممن كانوا يدينون بالتوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل، والصابئين الذين كانوا قبل هؤلاء، المتبعين ملة إبراهيم إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل، وهذا بخلاف المجوس والمشركين إذ ليس فيهم مؤمن، لهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [3] .

فذكر أصحاب الملل الست تلك، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ولم يذكر فيهم من كان مؤمنًا، وإنما ذكر ذلك في الأربعة فقط .

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : إن الآية لم تمدح واحدًا من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل الذي كان في دينهما، وإنما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد (ﷺ) والذين هادوا : الذين اتبعوا موسى (عليه السلام) وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل، والنصارى الذين اتبعوا المسيح

([1]) سورة البقرة، آية: ٦٢ .

([2]) سورة المائدة، آية: ٦٩ .

([3]) سورة الحج، آية: ١٧ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg 
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

(عليه السلام) وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل .

والصابئون وهم الصابئون الحنفاء الذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق قبل النسخ والتبديل، فإن العرب من ولد إسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غيرَّ دينه أحد ولاة خزاعة وهو «عمرو بن لحيي» وهو أول من غيَّر دين إبراهيم بالشرك، وحرَّم ما لم يحرمه الله؛ ولهذا قال النبي (ﷺ): « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[1] فهو أول من بجر البحير وسيب السوائب، وغيرَّ دين إبراهيم [2] .

وكذلك بنو إسحق الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين إبراهيم كانوا من السعداء المحمودين فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم ونحوهم هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا قُلْ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة، ج:٦، ص:٥٤، ح:٤٦٢٣ ، ط، دار طوق النجاة.

(2) راجع:الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ج: ١، ص: ٢٨٨، نشر: دار المعرفة، بيروت، وقارن: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجلد :٢، ص: ٧٢٤، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ، نشر: دار الطباعة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

.[١]

يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : وقد اختلف فيهم الناس اختلافًا كثيرًا بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر، قال الله تعالى : ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا﴾ [٢] حيث ذكرهم في الأمم الأربعة الذين تنقسم كل أمة منهم إلى ناج وهالك، وذكرهم أيضًا في الأمم الستة الذين انقسمت جملتهم إلى ناج وهالك، كما في قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [٣] ، فذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهما ولا تنقسمان إلى شقي وسعيد، وهما المجوس والمشركون في آية الفصل، ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة، وذكر الصابئين فيهما، فعلم أن فيهم الشقي والسعيد، وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل، وهم أهل دعوته وكانوا بحران فهي دار الصابئة، قال أبو محمد بن حزم وكان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا الحوادث، وبدّلوا شرائعه، فبعث الله إليهم إبراهيم خليله بدين الإسلام الذي نحن عليه اليوم، وتصحيح ما أفسدوه وبالحنيفية السمحة التي أتانا بها

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٢ .
(٢) سورة البقرة، آية: ٦٢ .
(٣) سورة الحج، آية: ١٧ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

محمد رسول الله (ﷺ)من عند الله تعالى، وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمون الحنفاء [١].

حقًا إن هناك فرقًا كبيرًا في الدين بين صابئة حران وبين الصابئة الأصليين، أو من يسميهم ابن النديم صابئة البطائح أو المغتسلة، وقد فطن بعض فقهاء المسلمين لهذا الفرق، حيث ذكر القفطي في كتابه – تاريخ الحكماء – أن أبا حنيفة وصاحبيه قد اختلفوا في نكاح الصابئة وأكل ذبائحهم، فحرمها أبو حنيفة وحللها صاحباه، فقال أصحابهم : إنه ليس بخلاف على الحقيقة، إنما هو اختلاف في الفتوى؛ لأن أبا حنيفة سُئل عن الصابئة الحرانيين وهم معروفون بعبادة الكواكب، فأجراهم مجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذبائح، وصاحباه سُئلا عن الصابئين ساكني البطائح وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح (عليه السلام) فأجابهم بجواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم [٢] .

وكما جاء في كتاب «الخراج» لأبي يوسف : «والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من

---

(١) راجع: أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج: ١، ص: ٢٣٦: ٢٣٧، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: يوسف أحمد البكري ، وشاكر توفيق العاروري، نشر: بيروت ، لبنان، قارن: في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ج: ٤، ص: ١٧، تحقيق: محمد إبراهيم نصير، ود. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، عكاظ للنشر والتوزيع.

(٢) راجع: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ج١: ص: ١٣٣ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

اليهود والنصارى والصابئين والسامرة ... »[١] .

ويمكن القول : إن اتهام الصابئين بالكفر، وبأنهم عبدة كواكب وثنيون إنما جاء بالدرجة الأولى من الخلط بينهم وبين الوثنيين الحرانيين، والحق أنه كانت هناك أسباب قوية دفعت في اتجاه هذا الخلط، أذكر منها :

أ - أن الصابئة دونت معتقداتها في صورة كتب ولفائف مخطوطة، وظلوا ينسخونها جيلاً بعد جيل، ورغم تشديد الوصايا الدينية على ضرورة تحري الدقة في عملية النسخ إلا أن ما وصلنا من نصوص لم يسلم بالمرة من العيوب، فقد شاب عملية النقل كثير من القصور بفعل الجهل الذي ساد أفراد الطائفة، وعجزها عن فهم دلالة هذه النصوص.

ب - أن الصابئة كطائفة دينية كانت تلجأ في كتاباتها إلى لغة الرمز والتأويل، فالصابئون في سردهم للميثولوجيا[٢] التي يؤمنون بها يلجئون إلى المعاني المجردة والمقولات العامة تارة وإلى تشخيصاتها تارة أخرى، وفي سردهم للأسطورة لا يستقرون عند صيغة واحدة، وقد تتباين الملامح العامة للأسطورة وتفصيلاتها، ومن يؤدون الأدوار فيها حتى في الكتاب الواحد أحيانًا .

---

(١) كتاب الخراج، القاضي أبي يوسف يعقوب ، صاحب الإمام أبي حنيفة، ص: ١٢٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .

(٢) ميثولوجيا : علم الأساطير، تطلق على كل مجموعة من الأساطير صدرت عن أمة متجانسة، أو إقليم عُرف بثقافة متجانسة . راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج:٦، ص:٣٣١٢.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ج - أن الصابئين شديدو الانطواء على أنفسهم، فهم عدا عن كونهم لا يبشرون بدينهم كانوا لا يسمحون بإطلاع غيرهم على كتبهم الدينية، بل إن رجال الدين كانوا يحولون دون اطلاع عامتهم عليها ويقصرون تداولها عليهم وحدهم، ولديهم أسرار دينية لا يجيزون إفشاءها إلا للمستويات العليا من كهنتهم، وتشدد كتب الطقوس في تعليماتها لرجال الدين على تلاوة بعض النصوص بصوت خافت كي لا يسمعها من يمارس الطقس الديني له، هذه الحال زادت من تكهنات وتخيلات الذين كتبوا عنهم، وحرمتهم من فُرص التقييم الواقعي لأفكارهم[١] .

فها هو البيروني يشكو من صنيع الصابئة حين يضنون بأدبهم على الغرباء عنهم فيقول : «الصابئون في كتاب الله تعالى مقترنو الذكر بالطوائف التي قدمنا ذكرهم، فأما الكائنون بسواد العراق حوالي قرى واسط فما حصلت من أسبابهم على شيء البتة، وأما المتلقبون بلقبهم من بقايا اليونانيين الكائنين بحران فهم من الصيانة لشرائعهم بحيث لا يكاد مخالفوهم يقفون عليها»[٢].

إذن حدث الخلط بين الصابئة الحقيقيين والصابئة الحرانيين بسبب انطوائهم المتزمت على أنفسهم حيث لا يقرون علانية الدين؛ لأن ذلك

---

(١) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص :٥،٤، قارن: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص: ١٨: ٢١ بتصرف .

(٢) القانون المسعودي، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ج:١، ص: ٣٦٧، طبعة: حيدر آباد ، الهند، ١٨٥٤م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يتعارض وباطنيته، ولا يقبلون أي فرد من الأديان الأخرى يريد الدخول في دينهم، ثم من ممارستهم التنجيم، وقبلتهم إلى الشمال حيث النجم القطبي، بالإضافة أنهم كانوا لا يردون على الاتهامات التي تقال عنهم تجنبًا للصدام الجدلي .

وإذا تأملنا في الأسباب المذكورة تبين لنا أنها في مجملها أسباب ذاتية، أي منبثقة من ذات الطائفة ومن داخلها، والحق أن هناك أسبابًا أخرى أدت إلى الخلط بينهم وبين غيرهم، تسبب فيها من هم خارج الطائفة ،أعني المؤرخين المسيحيين وكُتاب الكنيسة الأوائل، فما دور هؤلاء في إيجاد عملية الخلط والتشويش في حقيقة معتقد هؤلاء الصابئين ؟

إن نظرة خاطفة في تاريخ المسيحية كافية لأن تؤكد لنا أن الذين أرخوا الصراعات الفكرية والدينية من كُتاب المسيحية لم يكونوا موضوعيين دائمًا في تناولهم لما تنادي به الجماعات الأخرى التي تخالفهم الرأي والمعتقد، فقد دخل المسيحيون في نزاعات مذهبية مريرة فيما بينهم وبين غيرهم خلال القرون الأولى لنشأة المسيحية، وقد تطلب الأمر لفرض اتجاهًا بعينه ليس فقط الدخول في معارك فكرية بل وغير الفكرية حتى اضطر الحاكم الإسلامي لأنطاكيا(1) في القرن التاسع الميلادي إلى تعيين حرس خاص

---

(1) أنطاكيا: مدينة جنوب تركيا، على نهر العاصي، أصبحت بعد انتشار المسيحية مقرًا لبطريركية، بها ثلاثة بطارقة للمذاهب: الملكانية، واليعقوبية، والمارونية. راجع= =الموسوعة العربية الميسرة، م:١، ص: ٤٨١.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg 
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

تكون مهمته حفظ الطوائف المسيحية من التذابح فيما بينها في الكنيسة [1].

هذه الأحداث تركت آثارها جلية فيما كتبه الآباء المسيحيون، ومن عالج تاريخ الكنيسة، فغابت أول ما غابت الأمانة العلمية والموضوعية فيما عالجوه، لقد استخدم التاريخ نفسه كوسيلة من وسائل الإثارة والتحريض، إذ ألصق هؤلاء الكُتاب بالطوائف التي ناصبوها العداء التهم التي تحط من شأنها في نظر الناس، وكان ذلك ديدن الكُتاب في العصور الوسطى .

هذا وقد استند بعض مؤرخي المسلمين أحيانًا بشأن الصابئة إلى المصادر المسيحية، وهي مصادر قد جاءت من أناس قد تحاملوا عليهم بدافع المنافسة للحظوة في البلاط العباسي، أو بدافع العصبية لديانتهم، فهل حملت هذه المصادر عيوبها معها إلى المسلمين؟

والحق أقول: إن الأخذ بهذا القول هكذا دون تدقيق فيه انتقاص من قدر ومكانة مؤرخي المسلمين العلمية، إذ يوحي بعدم درايتهم بقواعد النقل والرواية، لكننا إذا نظرنا إلى ما دونه مؤلفو المسلمين بعين الناقد البصير تبين أن موقفهم من هذه المصادر دار بين أمرين:

الأمر الأول : **الالتزام بالأمانة العلمية في النقل** :

وقد تمثل هذا الموقف لدى ابن النديم الذي آثر أن ينقل جميع ما ورد بشأنهم من روايات وأقوال، على ما قد يبدو بينها من تعارض أو

---

(1) راجع: الدولة والكنيسة، ثيودوسيوس، وامبروز، ص: ٨٧: ٨٨، ١٠٢، ترجمة: د. رأفت عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، نشر: دار المعارف ، القاهرة .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

تناقض، فلا يسلط الضوء على رواية ويغض الطرف عن أخرى قد تؤدي إلى معطيات تختلف تمامًا مع معطيات الرواية الأخرى، أو بمعنى آخر إن ابن النديم قد تجنب تمامًا الوقوع فيما يمكن تسميته بالانتقاء بأن ينتقي من الروايات ما قد يتناسب مع الأيديولوجية الحضارية التي ينتمي إليها، فلا يكون بذلك متجردًا من نوازعه الذاتية وقناعاته الشخصية أو العصبية المذهبية .

والحق يقال: إن ممارسة كهذه وإن كانت تنطوي على أعلى درجات الموضوعية والأمانة العلمية في النقل والرواية، إلا أنها من جانب آخر تضع مهمة النقد والتحقيق على كاهل القارئ الذي قد تفصله دهور عن مجرى الأحداث إذ كلما ابتعد القارئ كثيرًا عن زمان ومكان الرواية زادت احتمالات التشوش فيها، وتعرضها للتغيير والتبديل، مما قد يوقع القارئ في حالة من الارتباك لا سيما إذا كان لا يمتلك القدرة الكافية على الموازنة والتحقيق [١] .

ولنأخذ مثالاً على ذلك – رواية إيشع القطيعي – أحد كُتاب المسيحية، وخلاصتها : أن صابئة حران كانوا وثنيين انتحلوا اسم الصابئة في زمن المأمون لكي يضمنوا التعامل الذي خصهم به القرآن الكريم، والتخلص من القتل الذي توعدهم به المأمون باعتبارهم جماعة وثنية [٢] .

فالواضح من هذه الرواية أنها ما هي إلا محاولة لإثبات أن الصابئين

---

(١) راجع: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص: ٢٨.

(٢) الفهرست، ابن النديم، ص: ٣٨٥ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وثنيو المعتقد، وفي هذا خلط واضح بين الصابئة كدين توحيدي، وبين الوثنيين من أهل حران، لذا يجب أن نضع في اعتبارنا أن الراوي مسيحي فلا تخلو روايته من تعصب أو تحامل وعدم الموضوعية، فلم يكن صابئة حران أو صابئة البطائح جنوب العراق وثنيين بحال من الأحوال، فلم ينسب أحد صابئة البطائح إلى الوثنية، وهم امتداد وفرع لصابئة حران.

بدليل أن أسماء بعض الصابئين أيام العباسيين من علماء وأطباء وفلاسفة كانت تدل على صفتها الصابئية الأصيلة، مثل : أبو الفتح المندائي وإبراهيم بن زهرون – وهو اسم مقدس لدى الصابئة – كما أن لقب مندائي دليل لا يقبل الشك على أنه يعود إلى صابئة البطائح المندائيين الذين يطلقون على أنفسهم اسم المندائي [١] .

إن الصابئين كانوا في حران في الوقت الذي كان يقطنها قوم وثنيون متفلسفون فارون من اضطهاد الكنيسة، وكان منهم عبدة الكواكب، ولما كان الصابئة من مُعَظِّمي الكواكب اعُتبروا هم والوثنيون أصحاب عقيدة واحدة، وفي هذا تعميم غير صحيح؛ لأن هناك فرقًا بين العبادة والتأليه، وبين التعظيم والتقديس، بمعنى أوضح : إن الصابئة يقدسون الكواكب ويعظمونها ولا يعبدونها، وقد حكى لنا المسعودي عنهم: أنهم أقاموا على عبادة الله عز

---

(١) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ١٥: ١٦ .
قارن: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص: ١٣٠، الطبعة العاشرة ١٩٦٥م، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وجل برهة من الزمان وجملة من الأعصر حتى نبههم بعض حكمائهم إلى أن الكواكب والأفلاك هي أقرب الأجسام المرئية إلى الله، وأنها حية ناطقة، وأن كل ما يحدث في هذا العالم إنما هو على قدر ما تجري الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين؛ لتنفعهم، ولعل من ظهر من الوثنيين كان من هؤلاء، إذ أشار بعض حكمائهم على بعض منهم لما رأوا الكواكب تختفي بالنهار، وفي بعض أوقات الليل بأن يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها، وبنوا لكل صنم بيتًا وهيكلاً منفردًا باسم ملك الكواكب(١) .

وجاء في التفسير الكبير ما يؤيد هذا، إذ حكى الرازي عن الصابئة قولين : الأول : أن خالق العالم هو الله إلا أنه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخاذها قبلة للصلاة، الثاني : أن الله خلق الكواكب والأفلاك ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها، لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، ثم أنها تعبد الله تعالى، وهذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاء إبراهيم (عليه السلام) رادًا عليهم ومبطلاً لقولهم(٢) .

وها هو الإمام أبو حنيفة يقول عنهم : «إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النجوم كما تُعظَّم الكعبة»(٣) .

---

(١) راجع: مروج الذهب، المسعودي، م:١، ص ٣٥، ط: ١٩٣٨م، القاهرة .

(٢) راجع: التفسير الكبير، الرازي، ج: ٣، ص :١١٣ .

(٣) راجع: روح المعاني، الآلوسي، ج:١، ص: ٢٧٩ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

فالذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعَّالة، يقول د.عبد الله شحاته : «وقد شاهدت هذه الطائفة حين كنت في العراق، ويسمون بالصبَّة، ولهم طقوس خاصة بهم في الزواج والموت، هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم، ويقرون ببعض الأنبياء»(١) .

إذن من قال بوثنية صابئة حران ليس معه على ذلك من برهان سوى مجرد الزعم إن من أهل حران منْ كانوا وثنيين يعبدون الكواكب، وهو زعم يخلط بين عبادة الكواكب وبين الأهمية التي يعطيها الأقوام التي تأثرت بعلم الفلك والتنجيم البابلي لدور الكواكب والبروج في التأثير على ما يجري على الأرض، وهو ما ينطبق على معتقدات الصابئة المندائيين ساكني البطائح .

حقًا: « كان المندائيون هؤلاء معرفيين – غنوصيين (٢) – مالوا إلى العقائد التنجيمية، فهم بهذا من معظِّمي النجوم، ولم يكن أهل – حران – معرفيين بل كانت لهم هياكل مقدسة مما جعل الخلط بينهم وبين المندائيين ممكنًا»(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم، د. عبد الله شحاته، ج:١، ص: ٨٥، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة . قارن: تفسير القرطبي، ج:١، ص: ٣٧٠ .

(٢) غنوصية: بمعنى المعرفة، وهي اسم علم على المذاهب الباطنية، فهي حركة فلسفية دينية نشأت في العصر الهلينستي. راجع: المعجم الفلسفي، د. عبد المنعم الحفني، ص ٢٢٩، ط أولى، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ٩: ١٠ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

على أن هناك نقاطًا تستلزم النظر بعين الحذر فيما رواه «القطيعي» أذكر منها يلي :

أولاً : أن أحدًا غير القطيعي لم يشر إلى هذه الواقعة المزعومة، في حين أن حياة المأمون ونشاطه العلمي كان موضع عناية خاصة من جانب المؤرخين نظرًا للمنزلة العالية التي حظى بها هذا الخليفة العالم، وقد لعب مثقفو حران دورًا بارزًا في حركة الترجمة في عصره، فلا يعقل ألاَّ يعرف عنهم المأمون شيئًا .

ثانيًا : أنه على خلاف ما يزعم القطيعي ففي ديار مضر ومنها حران، والرقة كان هناك من يُدعى بالصابئة قبل خلافة المأمون، وابن النديم نفسه الذي نقل رواية القطيعي يورد في فهرسه في موضع آخر أن أجداد ثابت بن قرة قد توارثوا رئاسة الصابئة منذ أيام عبد الملك ابن مروان[1] .

ويذكر الطبري أن الصابئة كانوا يوجدون بجزيرة الموصل، والمقصود بالجزيرة هنا هي تلك الأراضي التي تمتد ما بين النهرين غربًا حتى حران وما بعدها، ويذكر ابن حزم : إن الحرانيين هم من الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم [2] .

---

(1) راجع: الفهرست، ابن النديم، ص: ٤٥٤ .

(2) راجع: الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان البيروني، ص: ٢٠٤: ٢٠٥، مكتبة المثنى – بغداد .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الأمر الثاني : الذي دار حوله موقف المسلمين من المصادر المسيحية، هو الأمانة العلمية مع النقد :

وقد تمثل هذا الموقف لدى البيروني حيث فطن وتنبه لافتقار ابن سنكلا النصراني للموضوعية، فيما كتبه ونسبه لصابئة حران، فقال واصفًا مؤلفه : «والذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل»، وتبدو أيضًا عدم الموضوعية واضحة جلية فيما نسبه عبد المسيح بن إسحق الكندي للصابئة من عادة ذبح الأطفال سرًا، وهم الذين ينفرون من ذبح الحيوانات، وحين يُقْدِمون على ذبح ما أُحِلَّ منها يطلبون المغفرة من آلهتهم[1].

وبناء على هذا يمكن القول : إن العلاقة بين الصابئة الحرانيين وبين صابئة البطائح المندائيين ليست مجرد تسمية تجمع بينهما، بل إن هناك علاقة تربط بينهم تتصل بهجرة الصابئة الحقيقيين من موطنهم في فلسطين بعد الميلاد إلى مدينة حران، وبقاء جزء كبير منهم فيها، وانتقال جزء منهم وهجرتهم إلى جنوب بلاد ما بين النهرين.

إن أدلة واضحة حول تاريخ الصابئين الأصليين توجد في كتاب حران كويثا أي : حران السفلى أو الداخلية، وهو كتاب المفروض فيه أنه تاريخي غير أن الحكاية فيه مزيج من التأريخ والأسطورة والنبوءة، حول كيفية هروب الناصورائي من اضطهاد اليهود لهم في أورشليم وكيف بحثوا عن مأوى لهم

---

(١) راجع: أصول الصابئة ، عزيز سباهي، ص: ٢٥.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

في جبال ميديا، ومدينة حران في تلك الجبال، وكيف أن مضطهديهم قد عوقبوا بتخريب أورشليم، مما يجعل نزوحهم وهروبهم بعد عام ٧٠م، ويستمر الكتاب حاكيًا، وفي حران وجدوا إخوانًا لهم في الدين، ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية إلى القسم الأدنى من بلاد ما بين النهرين، حيث أقاموا لهم مراكز في محل يدعى الطيب بين واسط وخوزستان[١] .

ويمكن أن نستنتج من نص عبارة الكتاب « وفي حران وجدوا إخوانًا لهم في الدين» إن المهاجرين الصابئين من فلسطين وجدوا في حران أناسًا من أبناء طائفتهم، وهذا يؤيد ما توصلنا إليه سلفًا من أن حران كما كانت موطنًا من مواطن الصابئين فقد كانت موطنًا لأقوام غيرهم كالوثنيين، فاحتمال اختلاط الصابئة بأهل الملل الأخرى أمر وارد، ويمكن أن يكونوا قد تأثروا بهم أو أثروا عليهم كما يحتم ذلك طبيعة العشرة والتعايش.

وتتمة لما تم إيراده من حديث عن عقيدة الصابئة يجدر بنا في ختام هذا المبحث أن نطرح سؤالاً مشروعًا وهو : هل الصابئون مسيحيون؟

لقد كان هناك من رأى فعلاً أن الصابئة من بين التيارات المسيحية الأولى التي اختلفت مع الكنيسة المسيحية الرسمية، وسارت في طريقها الخاص من بعد، والمبشرون الجزويت وغيرهم الذين وفدوا إلى البصرة في القرن السادس عشر الميلادي، كانوا يحسبون الصابئة مسيحيين من أتباع يوحنا المعمدان، مثل هذا الاعتقاد كانت له جذوره القديمة، فيما كان الواقع

---

(١) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ١٣: ١٥ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يخالف ذلك منذ البداية .

فهم ليسوا فرقة من النصارى كما ورد لدى كثير من الباحثين، وقد جاء هذا الوهم من تعظيم الصابئين للنبي يحيى واعتباره نبيًا لهم، أنقذهم من ضلال اليهودية، وقام بالمعمودية، كما أنهم يعظمون يوم الأحد(١) .

لكن الأهم من هذا في – رأيي – هو صنيع واضعي الأناجيل الذين كانوا يلمسون الموقف المناوئ للمسيحية عند تلامذة يوحنا بالذات، إذ رأيناهم وقد رسموا صورة يوحنا بشكل أرادوا فيه ليس فقط إقناع اليهود عامة بالدعوة المسيحية، وإنما إقناع أتباع يوحنا بالذات الذين كانوا يبدون معارضتهم لاعتبار يسوع هو المسيح الموعود .

إن من يقرأ إنجيل يوحنا مثلاً يدرك أن واضعه كان على دراية بالاحتكاكات التي كانت تجري بين أتباع يوحنا وأتباع يسوع حول من هو المسيح .

ويبدو أن تأكيد المقدمة على أن يوحنا اعترف ولم ينكر وأقر: أني لست أنا المسيح ، قد جاءت للتأثير على هؤلاء الأتباع الذين ظلوا يتمسكون بخطه، حقًا إن أتباع يوحنا لم يسمعوا منه – طبقًا للأناجيل – أنه وصف نفسه بالمسيح، إلا أنه لم يصف يسوع بذلك أيضًا، إن يوحنا حتى سجنه كما تروى الأناجيل ذاتها لم يذكر ذلك، بل هو لا يعرف ذلك أصلاً، بدليل أنه أرسل اثنين من تلامذته إلى يسوع لينقلا إليه تساءله: «أنت هو الآتي أم

---

(١) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ٢٠ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ننتظر»[1].

ومما يؤكد أنهم غير مسيحيين ما ترويه مواعظ اكليمنص[2] الإسكندراني : أن جدالات حامية كانت تجري بين الجماعتين، وأن أتباع – يوحنا – كانوا يرفضون نسبة المسيح إلى يسوع بل يعتبرون الدعوة إلى ذلك باطلة، «أن عيسى بالنسبة للصابئة كان ناصورائيا إلا أنه خرج عن حقيقة الدين، وقاد الناس إلى دين آخر، وباح بالعقائد الباطنية، وجعل الدين أكثر يسرًا»[3] .

ولعل مثل هذه الإشارات التي ترد في الأدب الصابئي، والتي تشكك بوصف يسوع المسيح وترى فيه مسيحًا دجالاً هي صدى لتلك المناقشات التي كانت تجري بين الطرفين هم شهود عيان لما كان يجري آنذاك .

---

(1) راجع: المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، ص: ٣٩، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م، دار النهار ، بيروت، والفصل – ابن حزم، ج: ٢، ص: ٢١٠، موسوعة الكتاب المقدس، شحادة بشير، ج: ٤، ص :٢٧٩.

(2) اكليمنص: نحو (١٥٠– ٢١٣) لاهوتي يوناني، ولد من أبوين وثنيين، اعتنق المسيحية فكان من أبرز علمائها في الإسكندرية. راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني ، ص: ٣٧١، ط أولى، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) الصابئة المندائيون، دراوور، ص :٤٢.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

(المبحث الثاني)

« الصابئة أصولهم وأصول معتقداتهم »

توطئة :

كان تأثير الشرق على الإغريق كبيرًا، فالأغريق الذين احتكوا باليهود والبابليين [١] والفرس [٢] لم يعودوا هم عين الإغريق قبل أن يغادروا أثينا [٣]، فلم يكتفوا بأن يتركوا لكل جماعة حرية عبادة آلهتهم بل سعوا للتوفيق بين نظراتهم، ونظرات هذه الأقوام، وأن يطابقوا بين تراتب آلهة الأقوام الآخرين مع ما أخذوا به في الأولمب[٤] .

ومنذ أيام الآشوريين [٥] توالت الاحتلالات إثر بعضها البعض مما

---

(١) الفرس: موطنهم جنوب غرب آسيا – إيران – كانت هذه المنطقة موطن إمبراطورية عظيمة، هي الإمبراطورية الفارسية القديمة . راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج:١، ص: ٥٤٦ .

(٢) البابليين: نسبة إلى مدينة بابل في بلاد ما بين النهرين بأرض الرافدين، كانت قاعدة إمبراطورية بابل، تقع على نهر الفرات. راجع: المرجع نفسه، ج:٢، ص :٥٧٨.

(٣) أثينا: عاصمة اليونان في سهل أتيكا، وهي مركز ديني ثقافي، مقر كنيسة اليونان الأرثوذكس، يزورها سياح كثيرون لمشاهدة معالم المدينة القديمة منبع الحضارة الغربية راجع: المرجع نفسه، ج:١، ص: ١٠٠

(٤) راجع: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، ص: ٥٩٧، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م.

(٥) آشور: إمبراطورية قديمة قامت في غرب آسيا حول مدينة آشور الواقعة في أعالي=

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أضعف الملامح الخاصة بكل ثقافة من الثقافات والتي كانت تمثل عقبة في سبيل الامتزاج فيما بينها، لكن هذه العملية وجدت أنسب أوضاعها في الاحتلال الإغريقي والاستيطان الذي رافقه، وفي الدعوة إلى العالمية التي امتدت حتى عصر الرومان، ففي اطار هذه العملية نمت ظاهرة تداخل الأفكار، ونشأ ما يعرف بالتوفيقية أو التلفيقية فلم تعد الشعوب تؤمن بمجرد المعتقدات التي ورثتها بل أضافت إليها معتقدات الديانات الأخرى، في هذا الوسط الفكري الخصب طوَّر الصابئة أفكارهم ومعتقداتهم تفاعل فكري خصب، ميل عام نحو التلفيقية في الفكر، إرث منوع من العبادات التي تمتد جذورها عميقًا في الماضي ولا تريد أن تغادر مسرح الحياة بسهولة، وتتغذى من الميل إلى المحافظة لدى بسطاء الناس، كما أن الأديان التي زالت لم تخل مسرح الحياة فجأة، ودون أن تترك وراءها أية آثار.

وإذا أردنا حل الإشكالات التي تعترض سبيل البحث في منشأ الصابئة وأصولهم، فلا يتسنى لنا ذلك دون إجراء نوع من المقابلة بينها وبين معتقدات أهل الديانات المجاورة لها.

هذا وقد تمخض البحث في أصل الصابئة ومعتقداتهم عن نظريتين :

الأولى : ترى أنهم من سكان ما بين النهرين، تكونت معتقداتهم من خلال تفاعلهم مع المعتقدات البابلية والفارسية باليهودية عن طريق

=نهر دجلة، اتخذت عاصمتها في – كالاه – ثم في – نينوى – . راجع: دائرة المعارف، العلم بطرس البستاني، ج:٣، ص :٧٠٩، دار المعرفة، بيروت ، لبنان .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الجاليات اليهودية، وبالمسيحية عن طريق اتصالهم بالنساطرة [1] المسيحيين، مستندين إلى أوجه التماثل بينهم وبين معتقدات هذه الأديان، وإلى وجودهم في جنوب ما بين النهرين منذ زمن بعيد .

الثانية : ترى أنهم من سكان فلسطين تحديدًا في بيئة الطوائف الدينية التي عاشت عند الضفة الغربية للبحر الميت، أو في بيئة العراق المسيحية – اليهودية التي سكنت شرق الأردن، ثم أنهم اضطروا للهجرة بفعل الاضطهاد الذي حل بهم على يد المؤسسة اليهودية الرسمية.

« نظرية الأصل الشرقي للصابئة »

أثار وجود الصابئة منذ ألفي عام في – دست ميسان – اهتمام الباحثين في هذه الطائفة ومعتقداتها، وما يربط بينهم وبين البابليين من معتقدات وطقوس، فقد ألمح مؤرخو المسلمين إلى أن المعتقدات الصابئية برزت في بابل أولاً، ويورد بعضهم أسماء لمن يقول عنها أنهم ملوك بابليون اعتنقوا الدين الصابئي، فقد ذكر ابن خلدون ما نصه : «إن ملك الأرض بعد نوح – عليه السلام – كان لكنعان بن كوش بن حام ثم لابنه – النمروذ –

([1]) النساطرة: بدعة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، قال بها – نسطوريوس – بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله . الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، ص:٤٨٢.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

من بعده، وأنه كان على بدعة الصابئة »[1].

هنـاك مصـادر عديـدة حـدثتنا عـن آخـر الملـوك – الكلـدانيين[2] نابونيدوس [3] أنه أدخل تغييرات دينية، وقد اصطدم أولاً بكهنة المعابد البابلية حين عزم على وضع حد للاستغلال الاقتصادي الذي كان يمارسه كهان المعبد، فقام بتعيين موظفين ملكيين للإشراف على شئون المعابد الاقتصادية، وقد أدَّى موقفه هذا إلى تواطؤ رجال الدين مع الملك الفارسي كورش [4] للإطاحة به وتسهيل احتلال بابل، وحين شعر الملك بالخطر يتهدد مملكته سعى لتحصين حران لتكون عاصمة له عند الطوارئ .

هذا وقد كانت تربط الكلدانيين بالقبائل العربية التي تسكن شمال الجزيرة العربية روابط تجارية قوية، دفعت هذه المصالح نابونيدوس لإقامة

---

(1) تاريخ ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن خلدون، مجلد :٢، ص :٧٨، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

(2) الكلدانيون: اسم للشعب الذي غزا المنطقة الجنوبية من وادي دجلة والفرات، وقد برع الشعب في التنجيم حتى أصبحت كلمة كلداني تعني المنجم . راجع: المنجد في اللغة، ص :٥٩١ .

(3) نابونيدوس: آخر ملوك أسرة الكلدانيين في بابل – ت ٥٣٨ ق .م. راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ص: ٦١٠، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين – بيروت، مكتبة النهضة – بغداد، ١٩٧٦م .

(4) كورش العظيم: ملك فارس باني عظمة أسرة الأخمينيين، اجتاحت جنوده ممالك الشرق الأدنى، وخضعت لنفوذه المدن الإغريقية في آسيا الصغرى، ت ٥٢٩ ق.م. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج:٥، ص: ٢٦٠٠ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

حاميات له، ومستوطنات أسكن فيها بعض البابليين[1] .

ومن ثم يمكن القول : إن هذا التوطين كان له أثر في نشوء التيار الديني الذي عرف باسم الأحناف من بعد خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض الباحثين ذكر أن نابونيدوس قد اهتم بعبادة إله القمر في ضوء التيارات الدينية التي اصطبغت آراؤها بصبغة توحيدية، وأنه أحدث تغييرات في المعتقدات الدينية والشعائر الخاصة بها، للتخفيف من حدة الشرك بجعل العبادة تتركز حول الإله سن دون نبذ عبادة الآلهة الأخرى[2] .

ولنأتي الآن إلى أوجه الشبه بين الدين البابلي والصابئي :

١ – كلتا الديانتين تُنزلان الماء منزلة عالية، فالبابليون يرون في الماء مصدر الحياة، وكذا بالنسبة للصابئة فهو مصدر الحياة ذاتها، فرجل الدين الذي يتهيأ لتعميد أحد الصابئيين يتعين عليه أن يبدأ بما يسمى بـ الرشامة أي : الوضوء، وتتم عند النهر الجاري، ويفتتحها بقوله : «السلام والنزاهة لك يا أبا الآباء الملاك برياوس، أبا الماء الجاري العظيم ماء الحياة»، ويعتقدون أن للماء قدرة على التطهير، فكل من يمس ميتًا أو يعاشر حائضًا يجب عليه أن يرتمس في الماء الجاري كي يتطهر من النجاسة .

---

(١) راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ج:١، ص: ٦١٠.

(٢) راجع: قصة الديانات، سليمان مظهر، ص :٧٠ وما بعدها، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، نشر: مكتبة مدبولي ،القاهرة ، قارن: مقدمة في تاريخ الحضارات، طه باقر، ص:٥٥٩.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٢ - المندة معبد الصابئة وقد يسمى مشكنا وتعني بيتًا، وكذا البابليون يدعون معابدهم بالبيت، والمندى عبارة عن كوخ صغير من القصب المطلي بالطين ذي باب ضيق بطول قامة الإنسان المتوسط، والباب هو الفتحة الوحيدة فيه، وهي تواجه الجنوب كي يتجه من يدخلها نحو الشمال نحو النجم القطبي قبلة الصابئيين، هذا المعبد يذكر بالمعابد البابلية في مراحل العبادة الأولى، حيث كان يوضع تمثال الإله في كوخ صغير من القصب والطين، يجلس فيه الكاهن يلتجئ إليه الناس التماسًا للمشورة .

٣ - يلتقي الصابئون بالبابليين في تحريم حلق اللحي وشعر الرأس، ورغم أن عامة الصابئة لا يلتزمون بهذا التحريم إلا أن رجال الدين منهم ملتزمون تمامًا بهذا التحريم، فهم يتركون لحاهم لتطول وشعر الرأس ليضفروه كالنساء .

٤ - في بابل كانت الكهانة وراثية وكان الأب يتولى نقل المعلومات التي تتعلق بالسلك الكهنوتي إلى ابنه، وكانت معرفة الطقوس محصورة بين الكهنة ومن يُعدُّ من الأبناء ليكون كاهنًا، وهذا ما ينسج الصابئون على منواله، فمع أنه ليس هناك نص ديني يلزم حصر الكهانة في عوائل بعينها إلا أن هذه الوظيفة كادت أن تكون كذلك حتى العقود الأخيرة، فلقد ظل الآباء يُعدِّون أبناءهم لتقلد هذه الوظيفة، ويعلمونهم اللغة، ويدربونهم على حفظ النصوص واستظهارها .

٥ - يعتقد الصابئون أن نفس الميت لا تأخذ سبيلها صعودًا إلى السماء إلا


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

بعد ثلاثة أيام من الوفاة، وتظل تحوم ما بين الميت والقبر، وبعد الثلاثة تأخذ سبيلها إلى السماء مارة بسبعة مراكز للمراقبة تدعى مطراثي حتى إذا استطاعت اجتيازها اجتازت جسرًا دقيقًا إلى الملاك أباثر الموكل بمحاسبة الموتى .

نفس الصورة يجدها المرء لدى البابليين وتجري محاسبة الروح على يد مثري وراشنوا الذي يتولى وزن أعمال الميت، وحتى إذا ما مال الميزان نحو جانب الحسنات فلا زال أمام الروح البابلية أن تقدم كفارة عن الذنوب لطلب الرحمة، وهو ما يقابل المسخنة التي تقام للنفس الصابئية للغرض ذاته(1) .

ونخلص من هذا: أن دعاة الأصل الشرقي يتجهون بقوة إلى اعتبار الصابئة طائفة انبثقت من الديانة البابلية، فهم ذوو أصل بابلي شرقي، ولم تكن ديانة مستقلة إلى جانب الديانة البابلية، بدليل ما تم إيراده من أوجه الشبه بين الديانتين لكنهم خرجوا عن الخط الرئيسي للعقيدة البابلية القائم على عقيدة تعدد الآلهة، وسلكوا خط نابونيدوس الذي اتجه نحو التجريد والتوحيد، وقد تدعَّم هذا التطور الذي حدث في معتقداتهم من خلال تفاعلهم مع الجاليات اليهودية التي كانت تعيش بجوارهم .

---

(1) راجع: الصابئة المندائيون، الليدي دراوور، ص: ١٨٩، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٧١، ٢٨٠ وما بعدها، وقارن: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص :٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، وقارن: قصة الديانات، سليمان مظهر، ص :٦٠ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وأرى: أن هذا قد يعزز ضمنًا دعاة الأصل الغربي من أن أصل الصابئة ومعتقداتهم يرجع إلى بعض الطوائف اليهودية وغيرها من المعارضين للمؤسسة الرسمية اليهودية، والتي هاجرت إلى بلاد ما بين النهرين .

وقد يقودنا التحليل لنقيض ذلك، إذ من الممكن أن تكون الجماعات البابلية وغير البابلية ومنها الصابئة التي وطنها ملوك آشور ونبوخذ نصر [١] في فلسطين ربما قد حملوا معهم معتقداتهم البابلية والصابئية إلى فلسطين فهل برزت الصابئية هناك على ما ذهبت إليه نظرية الأصل الغربي، لا نفضل التعجل قبل اكتمال المطابقة والمقارنة .

« نظرية الأصل الغربي للصابئة »

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الصابئة هي واحدة من طوائف البحر الميت، فمن هي تلك الطوائف؟

حقيقة تحدَّث كتاب المسيحية الأوائل عن هذه الطوائف إلا أنهم اكتفوا للأسف بذكر أسمائها فقط، دون أن يدخلوا في بحث وتوضيح ما تدعو إليه، لكنهم وصفوها بأنها هرطقية، وكان مما ذكروه طائفة الصدوقيين [٢]،والفريسيين [١]، والسامريين [٢]، والآسينيين.

---

(١) نبوخذ نصر: ملك بابل، حكم ٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م . أخمد ثورة قام بها اليهود، وساقهم أسرى فيما عرف باسم السبى البابلي . راجع: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، ج١٠، ص: ٥٣٨، الطبعة الثانية، دار المعارف ، مصر .

(٢)الصدوقيون: أتباع صدوق وأسرته التي تولت الكهانة في عهد داود وسليمان، هم=

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

على أية حال يرى معظم الباحثين أن الآسينيين هم الطائفة الرئيسية، وأن الطوائف التي عاشت بجوارها قد تأثرت بها، أو أنها أسانية من لون معين، فمن الآسينيون؟

لقد ظل الباحثون يجهلون الكثير عن هذه الطائفة قبل اكتشاف مخطوطات وادي قمران لأن ما وصل إلينا عن حياتهم ومعتقداتهم كان عن طريق يوسيفوس (٣) ، لكن اكتشاف هذه المخطوطات فتح أمامنا بابًا جديدًا لمعرفتهم، ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل كثيرة خاصة بهم، لكن نريد أن نلفت النظر إلى أن هذه الجماعة خرجت من جماعة الأتقياء، لأنها لم تقبل أن يكون رئيس الكهنة من عائلة غير عائلة هارون .

=حرفيون في مسائل الدين، متوسعون في أمورهم المعيشية، يعاشرون الأجانب، ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم. راجع: حياة المسيح، العقاد، ص: ٢٩ :٣٠، نهضة مصر للطباعة والنشر .

(١) الفريسيون: طائفة يهودية، ظهرت بعد أن استطاع المكابيون تخليص الشعب اليهودي من اضطهاد السلوقيين، امتازوا بحرصهم الشديد على التعاليم الدينية شفوية كانت أم تحريرية . راجع: قصة الديانات، سليمان مظهر، ص: ٣٧٢.

(٢) السامريون: هم الذين سكنوا السامرة، يؤمنون بأسفار موسى الخمسة، ولا يعترفون بباقي القوانين العبرانية ولا بالتقاليد الفريسية . راجع: دائرة المعارف، المعلم بطرس البستاني، ج:٩، ص: ٤٠٧ : ٤٠٨، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

(٣) يوسفيوس فلافيوس: مؤرخ وجندي يهودي، عينه اليهود حاكمًا على الجليل في بدء الحرب بين الرومان واليهود، من مؤلفاته: حرب اليهود، وتاريخ اليهود القديم ٣٧ – ٩٥م . راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج:٧، ص: ٣٦٦٩.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

إن الجماعة الأولى التي ميزت نفسها عن بقية اليهود – والتي ستُدعى فيما بعد بجماعة الفريسيين – كانت تعيش في المجتمع وتندمج فيه جزئيًا، أما جماعة قمران فقد انسحبت تمامًا من المجتمع، وذهبت إلى وادي قمران في صحراء اليهودية، تحيا حياة تشبه حياة الرهبنة في المسيحية، وإن كانت الجماعة الأولى سمت نفسها بالأتقياء فجماعة قمران تدَّعى لنفسها أنها هي البقية الأمينة في إسرائيل، فذهبت بذلك مذهبًا أبعد من الجماعة الأولى في انفصالها عن الأمة، ورفضت تقديم الذبائح والاشتراك في الخدمات التعبدية في الهيكل لعدم شرعيتها لكنها احتفظت بكهنتها المختصين بها من البقية الباقية في إسرائيل ومن نسل صادوق [1] .

ويجدر بنا أن نورد هنا شهادة يوسيفوس أحد أهم المصادر بشأنهم، حيث عاش قرابة السنتين منهم ويستفاد من مجموع الأوصاف التي ذكرها عنهم : أنهم أناس تقاة عفيفو النفس واللسان، عادلون معادون للظلم شديدو التقيد بالضوابط والنظام، يكبحون الشهوات لا سيما الجنسية، حياتهم وملكيتهم مشتركة، الكل يعمل، يتحملون شظف العيش، ملابسهم بيضاء، الاستحمام بالماء مطهر للنفس والبدن، يصونون معتقداتهم عن الغير .

ويحكي عنهم العقاد : أنهم كانوا ينتظمون في النحلة على ثلاث درجات وأن أحدهم يقسم مرة واحدة يمين الأمانة والمحافظة على سر

([1]) راجع: تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس: حنا جرجس الخضري، ج:١، ص: ٨٨، مطبعة: دار الطباعة القومية بالفجالة، نشر: دار الثقافة ، القاهرة .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الجماعة، ويحرم عليهم القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة، ليس بينهم سيادة ولا رئاسة، المادة عندهم مصدر الشر كله، والسرور بها سرور بالدَّنس والخيانة[1] .

والذي يتضح أيضًا مما ورد في المخطوطات وما أورده يوسيفوس وغيره: أن الطائفة يهودية المنشأ يؤكد ذلك تمسكها بشريعة موسى (عليه السلام) والتقيد التام بالتعاليم اليهودية بشأن السبت وتحريماته، وتمسكهم بالتراث الذي احتوته التوراة، مع أخذهم الحرية في تفسيره حتى وإن أتى معارضًا لما تدعو إليه المؤسسة الرسمية اليهودية، يبدو هذا جليًا في تفسيرهم لكتاب حبقوق – أحد أسفار العهد القديم –، كذا فإن اعتزال الطائفة قرابة ثلاثة قرون كان ناجمًا عن سخطهم من الطريقة التي كانت تحكم بها إسرائيل في ظل الملوك المكابيين [2] وتعاون كبار رجال الدين الصدوقيين مع الحكم والهيمنة الإغريقية والرومانية، والاضطهاد لكل من يخالفهم من اليهود[3] .

وبعد أن ألقي الضوء على هذه الطائفة نأتي إلى ما يهمنا وهو حقيقة

---

(1) راجع: حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، عباس محمود العقاد، ص:١١ :١٢، دار الهلال، الطبعة: بدون .

(2) مكابيون: أسرة يهودية ظهرت في القرنين ١، ٢ ق.م، قادت المقاومة ضد محاولة القواد السوريين إحلال الطقوس الهلينية محل الطقوس اليهودية. راجع: تاريخ الفكر المسيحي، د. قس: حنا جرجس الخضري، ج:١، ص :٦٩.

(3) راجع: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، ص: ٦٧، مراجعة: إسماعيل الكردي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م، دار الأوائل – دمشق .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الصلة بين الصابئة والآسينيين .

إن أول ما يرد في الذهن إذا ما قارنا بين الصابئة والآسينيين هي مسألة التعميد .

لقد كشفت التنقيبات التي أجريت في خربة قمران عن نظام للأحواض كان يستخدم بعضها لإجراء طقوس الاستحمام، وقد نصت عليه كتب الطائفة باعتباره طقسًا دينيًا في الأساس، ولا يسمح لمن يقترف خطيئة ما، ومن ليس طاهرًا لسبب ما أن يمس الماء.

لكن حقًا كان يوحنا المعمدان يعمد في الماء الجاري في نهر الأردن وكذا يفعل الصابئة فكيف أجاز الآسينيون التطهير بالأحواض؟

يمكن القول : إن الظروف السياسية والاجتماعية التي تميزت بالاضطهاد الفظ أرغمتهم على اللجوء لهذه المنطقة الصخرية عند ساحل البحر الميت والتي تبعد عن نهر الأردن بحوالي عشرة كيلو مترات، مما يجعل مهمة الذهاب يوميًا إلى هناك ليست بالهينة، فاستعاضوا عن ذلك بماء حرصوا على طهارته، أو أن رجال الدين اليهود كانوا يحرِّمون إجراء هذا الطقس في الماء الراكد لنهر الأردن، بيد أن يوحنا تحداهم في هذا، ربما تحقيقًا لنبوءة النبي حزقيال إذ تنبأ بانفجار ينابيع الماء من كل مكان[1] ، فاختيار هذا الماء إذن خضع لنوع من الاجتهاد أملته دوافع خاصة بيوحنا أو ظروف خاصة بالطائفة .

---

(1) راجع: أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص: ٩٦، ٩٧.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg 

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أما بالنسبة للصابئة إذا اعتبرناهم من هؤلاء – فإذا صحَّ القول بهجرتهم من هناك، واستقرارهم في جنوب العراق يكون من منطق الأمور ومنطق ديانتهم التي تنشد التطهير أن تجري طقس التعميد في الماء الجاري.

ثانياً : النظرة التشاؤمية نحو العالم :

تلتقي الصابئة وطائفة البحر الميت الآسينيين في النظرة التشاؤمية للعالم، هذه الطائفة التي اعتبرت أولاً منشقة عن اليهودية، عزلت نفسها عامدة عن المجتمع اليهودي، واعتبرت كل علاقة بالعالم الخارجي علاقة غير طاهرة، ودنس يقتضي التطهير بالماء، فهجرت الثورة المكابية، واعتزلت في كهوف الجبال، يعيشون فيها حياة متقشفة، ويستغرقون في فترات صمت طويلة، وكان مجتمعهم منغلقًا على ذاته؛ لذا كان من الصعب الانضمام إليهم، فلا يمكن لأحد أن ينضم إلى فرقتهم إلا بعد مروره بمراحل إعداد خاصة، وفترات اختبار عنيفة طويلة قد تمتد لسنوات، لقد هجروا المعبد اليهودي وما عادوا يبجلونه[1]، والصابئة تنحو نفس المنحى، فالعالم عالم ظلام ودنس، ولا يتم الخلاص منه إلا بصعود النفس الطاهرة إلى عالم النور ذلك أن «الروح منفية أسيرة في الجسم وأن موطن وأصل تكوينها هو الكينونة العليا، فهي تعود إليها بعد تحررها من الجسم»[2] .

---

(1) راجع: تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة، ص: ٢٢٦، قارن: الفرق والمذاهب اليهودية، عبد المجيد همو، ص: ٦٨ .

(2) الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ١٤ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثالثًا : سرية معتقداتهم :

حيث تشدد كلتا الطائفتين على عدم إفشاء تعاليمهم الدينية إلى من عداهم، والحفاظ على سريتها ، يقول يوسيفوس عن الآسينيين : «لا يباح أي سر من أسرارهم إلى الغير حتى لو عُذِّب الواحد منهم حتى الموت»[١] وكانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وربما يرجع ذلك إلى اعتقادهم بأن كتبهم تتضمن حقائق كشفها الله لهم وحدهم، بينما حجبها عن الآخرين؛ لذا لا يصح كشفها، وهو عين ما يعتقد به الصابئة فعلى من ينتمي إلى الصابئين الالتزام بسرية عظمى، والاعتقاد بأن هناك أسرارًا دينية لا تباح معرفتها إلا للقلة من المكرسين دينيًا، ومن ثم انقسم الصابئون إلى قسمين متمايزين :

الأول : وهم فئة الناصورائيين ويكونون مسئولين عن حفظ الدين وإقامة شعائره .

الثاني : وهم المندائيون أي عوام الصابئة [٢] .

وإذا كان فيما أورد سلفًا يوضح مدى قوة الترابط ووجه الشبه بين الطائفتين، ووثاقة الصلة بينهما، فإن بينهما من نقاط الاختلاف ما يمكن معه القول بأن لا علاقة بينهما، إنْ لم يكونا على طرفي نقيض، ولنعرض الآن لأهم نقاط الاختلاف، لعلنا نصل إلى جلية الأمر :

---

(١) أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص :١٠٠ .

(٢) راجع: الصابئة المندائيون، دراوورا، ص: ١٤ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أ - إن الصابئة من جانبها تقف موقفًا معاديًا من اليهودية، فأدوناي إله إسرائيل لا يضمر لها ودًا، وهو يقرن بـ شامس أحد السبعة الأشرار، وأن موسى – ميشا – هو نبي للروها – الظلام – ففي الرسالة الخامسة من كتاب الكنزا تشن حملة عنيفة على اليهودية: «أدوناي اختار شعبًا لنفسه وجمعهم في كنشتا – مسكن – بنيت أورشليم مدينة اليهود الذين يختتون أنفسهم بالسيوف، ويرشون دمهم على وجوههم، الأزواج يتركون زوجاتهم ليضاجعوا غيرهم»(1).

ب - الزواج يثار دائمًا كنقطة خلاف بين الطائفتين فهناك شبه إجماع من الباحثين أن الآسينيين كفرقة ترفض الزواج ولا تسمح به وفي المقابل تأخذ بنظام العزوبية وتفرضه على أفرادها، وقد كتب بليني الكبير – أحد علماء الحضارة الرومانية – ٧٩م : «إنهم عاشوا في عزلة عن الشعوب الأخرى، كما لم يكن هناك وجود للنساء بينهم بسبب رفضهم للحب الجسدي»(2) .

إذن كان هناك عزوف من جانب الآسينيين عن الزواج فاقتصر مجتمعهم على الذكور فقط، في المقابل لا يمانع الصابئة في الزواج والإنجاب، بل لا يحبذون العزوبة، فقد جاء في كتاب كنزه ربه أي الكنز

---

(1) أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص: ١٠٢ .

(2) الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث، د. محمد بركات، ص :٥٣، قارن: تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة، ص: ٢٢٦ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

العظيم – أن المسيحيين – يصيرون رهبانًا وراهبات، ويمنعون بذورهم الواحد عن الآخر، يحرمون النساء من الرجال، والرجال من النساء ... حينئذ تذهب إليهم الجنيات ليلاً، وتأخذ بذرتهم، وهكذا تظهر من بينهم الأرواح الشريرة والجن؛ لتنتشر في العالم [١] .

ويمكن الجواب عن – مسألة عداء الصابئة لليهودية – على الوجه التالي : أن الآسينيين كانوا من المجاهرين بكرههم للمؤسسة اليهودية الرسمية متهمين إياها بالخروج على شريعة موسى، وأنها تفسر التوراة بما يعزز هيمنتها على المجتمع، فالثابت في عصرهم «أن بني إسرائيل كانوا قد قست قلوبهم، وتحولوا عن أصول شريعة موسى وانحرفوا عن الطريق الواضح الذي رسمه لهم أنبياؤهم وأفرط اليهود في التهالك على المادة، واستغرق حب المال تفكيرهم، فكان كهنتهم يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل، ليستولوا هم على ذلك المال، الذي كان الناذرون أنفسهم في أشد الحاجة إليه»[٢] .

لقد خرج الآسينيون على المؤسسة الرسمية لكنهم كانوا أكثر تشددًا بالتمسك بهذا الدين فقد كانوا يؤمنون بضرورة التمسك التوراة وأحكامها، ولو جر عليهم ذلك القتل، ولهذا فروا بدينهم، وسكنوا المغاور والكهوف، وللسبب

---

(١) راجع: الصابئة المندائيون، دراوور، ص: ٦٠ .

(٢) قصة الديانات ، سليمان مظهر ، ص: ٣٧٢.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

نفسه أُعدم يوحنا المعمدان حين وقف من هيردوس الموقف المشهور[١] .

فها هي اللفائف التي وجدت في صومعة خربة قمران تصف لنا نظم الجماعة وآدابها، وشدة حرصها على الشعائر الموروثة، فكانت مصابة بداء القوم الذي انتهى إلى غاية مداه في تلك الفترة، وهو داء الجمود على النصوص والألفاظ، والانصراف عن جوهر العقيدة ولباب الإيمان .

ومهما يكن من أمر هذه الطائفة فهي في أصولها وفروعها بقيةٌ محافظةٌ على تراثها متشددة في محافظتها ناظرة إلى أمسها حتى في التطلع إلى الغد المرجو انتظارًا للمخلص الموعود، على حسب النبوءات الغابرة[٢].

الآسينيون إذن محافظون في الجوهر، فهل انقلب هذا التشدد إلى ضده بعد أن اضطروا للفرار حتى من البحر الميت؟ ربما يكون حدث هذا الانقلاب في إطار اليأس المرير الذي تولد إثر فشل الثورة اليهودية الأولى، واضطرار بعضهم للجوء إلى شرق الأردن أو إثر فشل الثورة اليهودية الثانية، وتدمير أورشليم، وتشتيت اليهود .

أما عن مسألة الزواج: فيمكن القول أن الآسينيين لم يكونوا ضد الزواج كمبدأ، لكن شكهم في أمانة المرأة وإخلاصها للحياة الزوجية، وانشغال الرجل بها عن شئونه الدينية هو الدافع وراء تحفظهم الشديد تجاه الزواج.

إن تحفظهم الشديد تجاه الزواج بذريعة صرف المرء عن الانقطاع

---

(١) الفرق والمذاهب اليهودية، عبد المجيد همو، ص :٧٠ .

(٢) راجع: حياة المسيح، العقاد، ص: ١١ :١٢ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

إلى شئونه الدينية نجد ما يقابله في الكتب الصابئية إذ ورد في كتاب دراشة ويهيا – وهو مجموعة فقرات تتناول شئون النبي يحيى جاء فيه : يا يحيى أصبحت أرضًا بلا مالك، بيتًا بلا قيمة، بيتًا زائفًا، لم يخلف من يذكر اسمه، من سيزودك بالمؤنة من سيمشي وراء نعشك ... بعدما سمع يحيى ذلك تجمعت دمعة في عينه، ثم قال : إنه من السار أن اقترن بزوجة، لكن إذا تزوجت ورغبت فيها نسيت صلاتي، فجاءته رسالة من بيت أباثر توصيه بأن ينظم وقته بين عبادة ربه وإرضاء زوجته[١] .

ولعله بعد هذا التوجيه وكشف اللثام عن هذه النقاط يمكن القول إنها ليست نقاط خلاف في حقيقتها بقدر ما يمكن اعتبارها نقاط اتفاق، ولو بطريق غير مباشر، وهي إن لم تكن داعمة لنقاط الاتفاق المذكورة قبلها فلا أقل من أن لا تكون ناقضة لها .

على أية حال فإن المقابلة بين الصابئة والبابليين لا تكفي لحسم المسألة بالنسبة لدعاة الأصل الشرقي، وكذا المقابلة بينها وبين الآسينيين لا تكفي لحسم المسألة لصالح دعاة الأصل الغربي للصابئة إلا أن نظرية الأصل الغربي تميزت بأنها لم تكتفِ بافتراض أن الصابئة ذات أصل آسيني بل طرحت بمعزل عنها فرضيات أخرى، ولعل أقواها فرضية إنهم إن لم يكونوا آسينيين فلا أقل من أن تكون من جماعة مجاورة لها تأثرت بها بلون ما مثل أتباع يوحنا المعمدان مما يعطي قوة لأصحاب هذه النظرية .

---

(١) راجع: أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص ١٠٢: ١٠٤.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

« الصابئة ويحيى بن زكريا » [1]

بين طوائف البحر الميت ظهرت شخصية تاريخية مؤثرة هي شخصية يحيى، وقد رسمت له المصادر صورًا متباينة وأدوارًا مختلفة، فما هي الصورة الحقيقية لهذه الشخصية ؟

الصورة الأولى : رسم ملامحها يوسيفيوس ففي كتابه العصور القديمة أورد ما يلي : كان بعض اليهود يعتقدون أن جيش هيرود قد دُمِّر حقًا بفعل الانتقام العادل لله، ردًا على حكمه بالموت على يوحنا المعمدان ؛ لأن هيرود قضى عليه رغم أنه رجل طيب كان يدعو اليهود إلى الفضيلة والالتزام بالنزاهة والعدالة وكان يجمعهم للتعميد[2].

إن شهادة يوسيفيوس هذه ذات قيمة كبيرة لفهم الدور الذي لعبه يحيى وفهم الدعوة التي جاء بها، وضد من كان يوجهها فهيرود هذا كان ملك اليهود، ورئيس الثيوقراطية [3] التي كانت تحكم إسرائيل وقتها، وعلى

---

(1) يحيى: أو يوحنا المعمدان، ابن زكريا واليصابات، من أنسباء يسوع، وهو يحيى في القرآن، عاش في برية اليهودية، ثم ظهر على شاطئ نهر الأردن يعمد بالماء للتوبة، ويبشر بمجيء المسيح فسمي السابق، قطع هيرودس رأسه بتحريض هيروديا زوجته . راجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٧٥٤، الطبعة السابعة والعشرون، ١٩٨٤م، دار المشرق ، بيروت .

(2) راجع: أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص: ١١٤ .

(3) الثيوقراطية: هي وصف لكل مذهب يرد السلطة السياسية في الجماعة إلى أساس ديني أو غيبي. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج:٢، ص: ١١١٢.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يديه قتل يوحنا المعمدان الذي كان قد جهد في انتقاد هيرود الذي كان متزوجًا من الملكة هيروديا وقد كانت زوجة أخيه، فأقنعت هيرود بتطليق زوجته والتزوج منها، وقد أدان يوحنا هذا الزواج فقطع هيرودس رأسه بتحريض من هيروديا (١) .

لقد كانت دعوة يحيى تستهدف نشر العدالة والتعامل النزيه في المجتمع، وهو ما كان يفتقر إليه الناس بدليل تزايد الساخطين على الأوضاع آنذاك، واضطرارهم للابتعاد عن البحر الميت وما وراءه، لقد جاء يوحنا في تلك الأيام يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعيا النبي القائل : صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة (٢) .

حقًا : لقد دفع يوحنا المعمدان حياته ثمنًا لعظاته، لكنه بموته أعطى درسًا جديدًا بأن خير ميدان للصراع هو معسكر الأعداء .

---

(١) راجع: البداية والنهاية، ابن كثير، ج:٢، ص :٥٠، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، ص: ٣٥٢، طبعة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، وقارن: التوراة والإنجيل والقرآن ، ثلاثة كتب، مدينتان – قصة واحدة، انطون فيسل، ص: ١٢٩، ترجمة: حسني زينة، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، منشورات الجمل – بغداد، بيروت .

(٢) راجع: الفرق والمذاهب اليهودية، عبد المجيد همو، ص: ٦٨، قارن: قصة الديانات، سليمان مظهر، ص: ٣٧١ .



Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

إن الصورة التي رسمها المؤرخ اليهودي هي في جوهرها عين الصورة التي يرسمها الأدب المندائي .

الصورة الثانية : وقد رسمتها الأناجيل وكُتاب المسيحية الأوائل فقد نسجوا على نفس المنوال الذي درج عليه واضعو الأناجيل في التعامل مع الأحداث وأشخاصها، حيث رسموا ليحيى صورة أسطورية ملأوها بكثير من المبالغات التي تخرج صاحبها من اطار الحياة المألوفة، وتدخله في عالم الأسطورة، ولتأتي في بعض تفاصيلها مطابقة لما تنبأ به أنبياء بني إسرائيل لقد رسمت صورته من البداية لكي تؤدي دورًا خاصًا ووظيفة معينة في المشروع العام الذي صممه، وحدد أبعاده واضعو الأناجيل، وهو تحصيل شهادة من شخصية تاريخية اكتسبت شهرة واسعة للدعوى المسيحية التي جاءت بها، والتمهيد لمقدم يسوع وتأليهه .

وما ذكروه أن يوحنا المعمدان أخبر اليهود أن الذي سيأتي بعده يعمد بالروح القدس، فقال : « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني لذلك لست أهلاً أن أحل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»[1] .

فهذا الخبر يحمل بشارة بنبوة نبينا محمد ﷺ، لكن النصارى لما جعلوا

---

(1) الروح القدس في عقيدة النصارى – دراسة نقدية في ضوء المصادر الدينية، د. عبد الله بن عبد العزيز الشعيبي، ص: ١١ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المسيح محورًا لكل الأحداث، فزعموا أن يوحنا يتكلم هنا عن المسيح علمًا بأن المسيح كان معاصرًا ليوحنا ولم يأت بعده، ولو كان عيسى هو الشخص الذي تنبأ به يوحنا على أنه أقوى منه، وأنه سيعمد بالروح والنار، لما كان هناك ضرورة أو معنى لتعميده في النهر على يد يوحنا وهو الشخص الأقل منه (1) .

إن هذه الطريقة التي اتبعتها الأناجيل في معالجة هذه الشخصية لم تعطنا حقًا من الشواهد ما يكفي لتوضيح نقاط الغموض التي أحاطت بها، وعندما جئنا إلى الأدب الصابئي نستوحي منه ملامحها لم ينقذنا من التشوش بل زاد فيه من بعض الوجوه، حتى دفع هذا الأمر بعض الباحثين إلى نفي العلاقة ما بين يحيى والصابئين من الأساس.

يقول والترونك : «إن يحيى لا يظهر في نصوص الطقوس والسحر والتعميد... وأنه لم يبدِ أسرارًا أو تعاليم ولم يصور كمسيح أو مخلص، أو مؤسس لطائفة، ولم يؤسس حتى طقس التعميد، كما أن التعميد ليس طقسًا للندم ابتداءً »(2) .

وعند التحقيق نجد أن هذه الملاحظات لا أساس لها، فالقول بأن

---

(1) راجع: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبي بكر بن فرح القرطبي، ص: ٤٧٠، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة – ١٣٩٨هـ .

(2) أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص: ١٢٤. قارن: الصابئة المندائيون، دراوور، ص:٧٣ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يحيى لا يظهر في نصوص الطقوس لا يتفق مع الحقيقة كلية، وهم لا يدعون أن دينهم جاء به يحيى بل كل ما نسب إليه أنه كان معلمًا عظيمًا رسولاً جاء ليؤدي مهمة خاصة بأمر الرب، ويذكر اسمه في الصلوات والتضرعات اليومية، والقول بأن التعميد ليس طقسًا للندم ابتداءً لا يعكس الفهم الصابئي لهذا الطقس، فنصوص التعميد ذاتها تنطوي على إحساس عميق بالندم بالنسبة للمتعمد، خذ مثلاً : «أمامك كل الأيادي جانية، وكل الشفاه كاذبة، نحن العبيد الذين كلنا خطايا، وأنت السيد الذي كله رحمة»[1].

وبعد هذا العرض لنظريتي الأصل الشرقي والغربي للصابئة وما أورده دعاة كل نظرية من شواهد في محاولة لإثبات وتقوية مدعاهم، إلا أنه بعد تحقيق القول فيهما نجد أن الأمور تسير باتجاه نظرية الأصل الغربي، لما سبق بيانه من وجود أكثر من فرضية تؤكد أنها ذات أصل غربي .

على أننا إذا أردنا تصورًا أو سيناريو لإشكالية ظهور الصابئة بحيث يتقرر فيه أن الصابئة غربية الأصل، سنجد أن هذا التصور سيكون في تفصيلاته وجزئياته أكثر واقعية ومنطقية من أي تصورات أخرى، خاصة إذا اعتمدنا في هذا التصور على الأدب الصابئي ذاته وما ينطوي عليه من دلالات، ويمكن تقرير هذا التصور على النحو التالي :

إنه تحت وطأة الاضطهادات التي شنتها الثيوقراطية اليهودية الحاكمة في أورشليم اضطر عدد محدود من الناس المعارضين لهذه الثيوقراطية في

---

(1) أصول الصابئة، عزيز سباهي، ص: ١٢٥، ١٢٦.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

عقائدها ويجاهرون بخلافهم معها إلى الهجرة نحو مناطق أكثر أمنًا، حيث يستطيعون ممارسة طقوسهم، ويدعون إلى معتقداتهم بحرية، ويختارون لهذا الغرض حران للعلاقات التي كانت تربطهم بها من قبل، على ما دلنا إليه كتاب حران كويثا حيث جاء فيه : «واستقبلهم حران المدينة التي كان بها الناصورائي، ولهذا فليس من سبيل لملوك اليهوطايي الكلدانيين إليهم، وكان على رأسهم الناصورائي ملك أردوان»[1].

ولنا أن نعتقد أن الذين هاجروا هم أناس من الطائفة الآسينية التي بدأت كجماعة معارضة للمؤسسة الرسمية اليهودية، ولنظام الحكم الثيوقراطي الصدوقي وبين ظهراني هذه الطائفة وعلى ساحل البحر الميت نشأ يوحنا المعمدان الذي سار على خط المعارضة لهذه المؤسسة ممثلة في شخص زعيمها هيرودس على ما سبق بيانه[2] .

إن هذه النشأة ليوحنا بين الآسينيين ألمح إليها الأدب الصابئي فهناك اتفاق كبير بين ما جاء في كتابي دراشة ديهيا وكتاب حران كويثا من أن يوحنا قضى طفولته وصباه بعيدًا عن أورشليم حتى إذا بلغ النضج وتلقى الإعداد الجيد عاد للتبشير بمذهبه .

لكن، أين قضى تلك الفترة؟ يتحدث الكتابان عن الجيل الأبيض، والشجرة التي ترضع الأطفال، ويبدو لنا أن الشجرة التي أرضعته، والإعداد

([1]) الصابئة المندائيون، دراوور، ص :٤٥ .

([2]) راجع: من البحث ص ٥١.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الذي تلقاه على يد انش أثرا إنما هو إشارة رمزية إلى تنشئة محتملة تمت على يدي الآسينيين حيث كانت هذه الطائفة تحرص على احتضان الصغار الراغبيين في العيش معها، وقد تكون أم يحيى وهي أنشباي فعلت ذلك خشية عليه مما توعده كهان اليهود، وقد كانت الطائفة ترعاهم، وتعدهم لمعارضة المؤسسة الكهنوتية اليهودية(١) .

فمن منطق الأمور أنه عندما نشأ وشب يوحنا بين هذه الطائفة أن يكون قد أدخل تغييرات على معتقداتها تتجه بها نحو معارضة أقوى مما جعلها تبتعد كثيرًا عن أصولها اليهودية لتأخذ شكلها من بعد في بيئة أخرى هي البيئة البابلية، وما يحيط بها من مؤثرات ثقافية، فعندما هاجر الاسينيون من أتباع يوحنا التقوا بأتباع نابونيدوس الذين ساروا على خط التوحيد، لا سيما أن التربة صالحة والظروف متشابهه، فأتباع نابونيدوس كانوا حينها يمثلون تيار المعارضة للمؤسسة الكهنوتية(٢) وكذا كان أتباع يوحنا من الآسينيين ، ثم خص أتباع يوحنا باسم الناصورائيين تمييزًا لهم عن عامة الصابئة .

فالأدب الصابئي يطلق على الطائفة اسم الناصورائيين وسمي ديانتهم بـ الناصورائا وبتدقيق أكبر يطلق هذه التسمية على تلك المجموعة التي تتبحر في المعتقدات الدينية للطائفة من رجال الدين، وقد شاع هذا الاسم في

---

(١) راجع: الصابئة، غضبان رومي، ص: ١٤٤: ١٤٦ بتصرف .

(٢) راجع: من البحث، ص: ٤٣

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أدبهم حتى إن السيدة داروور تميل في كتاباتها المتأخرة إلى إطلاق التسمية على الطائفة بوجه عام، بدلاً من الصابئة التي لا تتردد في أدبهم كثيرًا .

فعندما هاجر هؤلاء إلى بلاد ما بين النهرين أتوا وسطًا ما كان يجهل ما يجري في فلسطين ومصر، وأن معتقداته الروحية لم تكن بعيدة عن المعتقدات التي جاء بها المهاجرون، الذين حملوا لهذا الوسط الاجتماعي أفكارًا وطقوسًا قد تحددت في موطنها الأصلي بفعل عنف الصراعات، وغزارة النشاط الفكري فيه، فتولوا على هذا الأساس تهذيب أفكار هذا الوسط الذي حلوا فيه، وقننوا طقوسه، وحددوا معتقداته جامعين بين ما مارسوه هم من قبل، وما كان قد درج عليه الوسط الذي انتقلوا إليه.

ويبدو أن هؤلاء المهاجرين شغلوا في البيئة الصابئية – السلطة الكهنوتية – بما يفسر لنا وجود مستويين داخل الجماعة الصابئية، أخذ كل منهما اسمًا خاصًا، مستوى أطلق عليه اسم الناصورائيين ضم المهاجرين، ومن أنشدَّ إليهم بقوة من الأتباع المحليين، ومستوى آخر ضم جمهرة الناس الآخرين الذين ساروا وراء الناصورائيين، وآمنوا بالخط الديني الذي كانوا يدعون إليه، وفي هذا أيضًا ما يبين السبب في كون أدبهم الديني يتحدث عن الناصورائيين وكأنهم جماعة خاصة تكاد تكون غريبة عن باقي القوم .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .. وبعد ، من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية :

أولاً : أن الدين الصابئي دين توحيدي، يؤمن أتباعه بإله واحد، وبآخرة فيها ثواب وعقاب .

ثانيًا : هناك فئة يطلق عليها اسم صابئة حران وهم ليسوا بالصابئة الأصليين، بل هم جماعة وثنية تعبد الكواكب والنجوم، أما الصابئة الأصليين فلا يؤلهون الكواكب وإنما يعظمونها كما يعظم المسلمون الكعبة، من هنا حدث الخلط بين الطائفتين، خاصة أنهم سكنوا مدينة واحدة من منطقة واحدة هي مدينة حران .

ثالثًا : أن مواطن الصابئة قبل ظهور الإسلام هو جنوب العراق، وفي ميسان والأهواز خاصة، وأنهم تمتعوا تحت الحكم الإسلامي بما تمتع به أهل الذمة، وأخذت منهم الجزية كونهم أصحاب كتاب .

رابعًا : أن مؤرخي المسلمين الذين كتبوا عن الصابئة دارت كتاباتهم بين أمرين الأمانة العلمية فنقلوا كل ما وصل إليهم من أمر الصابئة وعرضوه عرضًا موضوعيًا دون تدخل، وبين الأمانة العلمية مع النقد والتحقيق، مثَّل الاتجاه الأول ابن النديم، ومثَّل الاتجاه الثاني البيروني .

خامساً : أن الصابئة في أصلها ومنشأها ذات أصل غربي إلا أنه ما كان لها أن تصبح ديانة قد نضجت معتقداتها وتأسست معالم اليقين في

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

طقوسها وأحكامها الدينية دون وجود البيئة الشرقية – بلاد ما بين النهرين – والتي كانت بمثابة التربة الخصبة الصالحة غرست فيها أصول الصابئة الغربية فنمت فيها وترعرعت حتى أخذت شكلها المتكامل فيما بعد.

وأخيراً :

فهذا ما وفقني الله تعالى إليه من أمر هذه الديانة، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثبت بأهم المراجع

القرآن الكريم : جلَّ من أنزله .

١. إبراهيم أبو الأنبياء، العقاد، دار الهلال – القاهرة .

٢. ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، طهران – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٣. الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان البيروني، مكتبة المثنى – بغداد .

٤. أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: يوسف أحمد البكري – وشاكر توفيق العاروري، نشر: بيروت – لبنان .

٥. أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، نشر: دار المدى للثقافة والنشر – سوريا – دمشق، بيروت – لبنان.

٦. الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة – ١٣٩٨هـ.

٧. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .



تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٩. تاريخ ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن خلدون، مجلد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٠. تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، الطبعة الثانية، دار المعارف – مصر.
١١. تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس: حنا جرجس الخضري، مطبعة: دار الطباعة القومية بالفجالة، نشر: دار الثقافة – القاهرة .
١٢. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، طبعة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت.
١٣. تفسير القاسمي – المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أ . محمد فؤاد عبد الباقي، صححه: الشيخ هشام سمير البخاري، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.
١٤. تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة .
١٥. تفسير القرآن العظيم، د. عبد الله شحاته، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة .
١٦. تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله القرطبي، دار الشعب – القاهرة .
١٧. التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.



١٨. التوراة والإنجيل والقرآن – ثلاثة كتب، مدينتان – قصة واحدة، انطون فيسل، ترجمة: حسني زينة، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، منشورات الجمل – بغداد، بيروت.
١٩. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، عباس محمود العقاد، دار الهلال، الطبعة: بدون .
٢٠. حياة المسيح، العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر.
٢١. دائرة المعارف، العلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٢. الدولة والكنيسة، ثيودو سيوس وامبروز، ترجمة: د. رأفت عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، نشر: دار المعارف – القاهرة .
٢٣. الرد على المنطقيين، ابن تيمية، نشر: دار المعرفة – بيروت .
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٢٥. الصابئة المندائيون – الكتاب الأول –، الليدي دراوور، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، مطبعة الديواني – بغداد.
٢٦. الصابئة، د. علي محمد عبد الوهاب، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، دار ركابي للنشر .
٢٧. الصابئون في ماضيهم وحاضرهم، السيد عبد الرازق الحسني، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م، مطبعة العرفان، صيدا ، لبنان
٢٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٩. غضبان رومي، طبعة ١٩٨٣م، مطبعة الأمة – بغداد .
٣٠. فجر الإسلام، أحمد أمين، الطبعة العاشرة ١٩٦٥م، طبع ونشر: ومكتبة النهضة المصرية – القاهرة.
٣١. الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، مراجعة: إسماعيل الكردي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م، دار الأوائل – دمشق.
٣٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار الشروق، بيروت – لبنان .
٣٣. القانون المسعودي، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، طبعة: حيدر آباد – الهند، ١٨٥٤م.
٣٤. قصة الديانات، سليمان مظهر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، نشر: مكتبة مدبولي – القاهرة .
٣٥. كتاب الخراج، القاضي أبي يوسف يعقوب – صاحب الإمام أبي حنيفة، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .
٣٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع .
٣٧. لسان العرب، جمال الدين بن منظور ، الدار المصرية للتأليف

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

والترجمة.
٣٨. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، رتبه: محمود خاطر، تحقيق لجنة من علماء العربية، طبع ونشر: دار المعارف – القاهرة.
٣٩. مروج الذهب، المسعودي، ط: ١٩٣٨م، القاهرة .
٤٠. المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م، دار النهار – بيروت.
٤١. المعجم الفلسفي، د. عبد المنعم الحفني، ط أولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع.
٤٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين – بيروت، مكتبة النهضة – بغداد، ١٩٧٦م .
٤٣. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م.
٤٤. الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ،تحقيق: محمد إبراهيم نصير، ود. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، عكاظ للنشر والتوزيع .
٤٥. الملل والنحل، للشهرستاني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
٤٦. المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة السابعة والعشرون، ١٩٨٤م، دار المشرق – بيروت.
٤٧. الموسوعة العربية الميسرة، أ . د. حسين محمد نصار وآخرون، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٤٨. الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، الطبعة الأولى، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

٤٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ، نشر: دار الطباعة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧